الصحراء والأدب العربي

الدكتور بلال أحمد شاه[1]

الملخص

إني سوف أحاول في هذه المقالة أن ألقي الضوء على جوانب مختلفة للصحراء وأدبها، أي أدب الصحراء، من المعروف أن البيئة العربية بيئة صحراوية، تشكل الصحراء معظم أرجائها، وإلى جانب هذا الشكل الجغرافي للصحراء في الوطن العربي فإن لها أثر وجداني ونفسي ينعكس على إبداع الروائي العربي، بل أن هذا التأثر الصحراوي لم يقتصر على الرواية فحسب، ولكنه امتزاج بإحساس كل مثقف وكل مواطن في هذا الوطن، حتى أصبح للصحراء حضور بارز في مجالات الحياة المختلفة. وتأثير الصحراء على الأدب العربي لم تكن ظاهرة حديثة، بل هي قديمة قدم الأدب نفسه، فسجل الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حافل بالكثير من النصوص التي يبدوا فيها تفاعل الشعراء مع الصحراء وموافقهم الإنسانية فيها، أما في مجال النثر فقد كان تأثر الروائيين مرتبط بالظروف المحيطة بالبيئة من ضياع وفقر وجوع وحرمان. وقد شهدت الساحة الأدبية تطور ملحوظا في إطار الخطاب الروائي في الرواية العربية، وذالك انتقالا من دراسة النصوص الأدبية وفقا لإطارها التاريخي إلى تحليلها تحليلا داخليا وربطه بالسياقات الأخرى. تركت الصحراء بصماتها واضحة راسخة على صفحة حياة الإنسان العربي، فأثّرت بصورة مباشرة في توجيه سلوكه وبناء فكره، وتشييد مجده التليد وحضارته الشامخة كما ألقت قسوتها بضلالها على روح سكانها فأكسبتهم قوة وحصانة، وزرعت فيهم الإباء والكبرياء وبعثت فيهم عزما لا يعرف اللين، ومنحتهم ذهنا صافيا ثاقبا، وبديهة حاضرة في الفكر واللسان، ونقاء السريرة، وطيب النفس وكرم الأخلاق. وتعتبر الصحراء جزء لا يتجزأ من عالمنا الأرضي، بل هي جزء

---

١ المحاضر المتعاقد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سري نغر / ١٩٠٠٠٦

مهم من تراثنا الطبيعي.

الكلمات المفتاحية: الصحراء، الأدب العربي، الشعر الجاهلي، الساحة الأدبية، الشعر العربي، الأدب العربي الحديث.

سنعمد فيما سيأتي إلى حسر النقاب عن صورة الصحراء ونبين كيف تجلت في أتون الأعمال الإبداعية العربية قديما وحديثا، وقبل ذالك فإننا لا نجد سبيلا إلى هذه الدراسة قبل أن نقف بدقة على معنى الصحراء لغة واصطلاحا.

مفهوم الصحراء لغة

الصحراء كلمة وردت في قواميس العربية بمعان متقاربة الدلالة، ونذكر هنا ما ورد في بعض القواميس.

الصحراء في المعاجم العربية

وردت كلمة الصحراء في معجم لسان العرب لابن منظور مادة: صحر "الفضاء الواسع لا نبات فيه وأصحر المكان أي اتسع وأصحر الرجل: نزل الصحراء وأصحر القوم إذا برزوا إلى فضاء لن يوازيهم شيء"[١]، وتتميز الصحراء عند ابن منظور بخاصتين أساسيتين هما الاتساع والقحط.

ويضيف بطرس البستاني في معجم محيط المحيط أن الصحراء "الفضاء الواسع لا نبات فيه والصحراء عند العامة على بقعة من الأرض زرع فيها القيثاء البطيخ ونحوها وهم يقصرونها ويجمعونها على صحاري وبعضهم يقول الصحراء بالتاء"[٢]، ويعتبر بطرس البستاني الصحراء قابلة لزراعة النباتات.

مفهوم الصحراء اصطلاحاً

إن التعريفات الاصطلاحي للصحراء يتضمن التعريف المعجمي ولا يقتصر عليه،

---

١. ابن المنظور: لسان العرب، دار بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٧م، ص ١٧.

٢. بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٥٠٨.

فمن أبرز مقومات الصحراء: "ذالك الخلاء الواسع المترامي العجيب الخالي من معظم مظاهر الحياة النباتية والحيوانية، وذالك إلى جانب ندرة الماء وارتفاع الحرارة التي تؤدي إلى تبخر جزء كبير، مما قد يسقط عليها من أمطار متفرقة"[١].

لم تصبح الصحراء صحراء دفعة واحدة كما أنها لم تكن دوما صحراء، بل حدث ذالك ضمن عملية تحول مناخي تضاريسي شديدة البطء وشديدة التعقيد، "وقد أخذ سطح الصحراء تشكله الخاص بالتدريج في العصر ما قبل العصور الجيولوجية استغرق ٢ مليار سنة بعد أن تشكلت الشروط الضرورية لذالك"[٢].

وتتميز الصحراء بميزة أخرى "فمعظم نباتات الصحاري من الأنواع التي يمكنها أن تتحمل الجفاف الشديد أو تتحايل عليه فمنها ما هو قصير العمر جدا بحيث يستطيع أن يتم حياته في فترات لا تزيد على شهر واحد عقب سقوط الامطار مرة أخرى فينمو من جديد ومنها ما يخزن الماء في جذوره أو في أوراقه وسيقانه كما هي الحال في نبات الصبير"[٣].

نلاحظ من خلال المفاهيم السابقة أنها اعتمدت في تحديدها لمفهوم الصحراء على مقاييس محددة لعوامل المناخ مثل المطر والحرارة، "إذ يبقى الأهم في تكوين مفهوم الصحراء هو الحالة المناخية التي تطبع التضاريس الأرضية بطابعها الخاص"[٤]. وأيّا ما كانت التعريفات فهي متفقة على أن الصحراء فضاء واسع جدا، لا ماء فيها كالأنهار والجداول والعيون الجارية، قليلة الأمطار والنبات والحيوان.

الصحراء عند النقاد

---

١ . صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ١٩٩٦م، ص ٦٧.

٢ . المصدر نفسه، ص ٢١٠.

٣ . عبد العزيز طريح شرف: المقدمات في الجغرافيا الطبيعية مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص ٣٨٢.

٤ . صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ١٩٩٦م، ص ١٦.

تختلف نظرة النقاد للصحراء حسب توجهاتهم من أدبية إلى فلسفية، وسنطرق إلى نظرة الناقد صلاح صالح الذي أفرد للصحراء مصنفا يجدد صلتها بالرواية العربية في مصنفه "الرواية العربية والصحراء"، بحيث يرى أن "الصحراء أكثر البقاع اليابسة اتساعاً وأكثرها صلة بفكرة اتساع المكان واتشاحه باللامحدودية والأبدية"[١]، ويشير صلاح صالح أيضا إلى أن "تمتع المكان الصحراوي بعدد من الخصائص الفردية كالاتساع الهائل لمدى الرؤية وجماليات التدفق الضوئي، والقدرة الخاصة على الجمع بين الحركة والسكون المطلق"[٢].

ينطلق الناقد صلاح صالح في تحديد نظرته إلى الصحراء من طبيعة تكوينها الجيولوجي الخالص وتركيبتها الجغرافية على أنها مكان كباقي الأمكنة على هذا الكون وقد تشترك في بعض خصائصها مع أماكن أخرى كالبحر، بحيث أن الصحراء تشترك مع البحر في شساعتها. وينتقل صالح في نظرته إلى الوجدانية بحيث يرى أن الصحراء ليست مجرد مكان عادي، بل يعدها من أبرز الأقاليم الجغرافية التصاقا بوجدان سكان المنطقة العربية[٣].

الصحراء بنظرة أدبية شعرية لدى الناقد ياسين النصير في كتابه "الرواية والمكان" بحيث يرى أنه "في أبعاد الصحراء تكمن قيم الطبيعة وسحرها، فهي فضاء بكثبان وفضاء بواحات، وفضاء بسماء وافق منطبقين، فضاء بألوان قوس قزح، فضاء بجفاف ومطر وخيول وجمال، وعيون ماء، فضاء متصل اتصالا مباشرا بالسماء، فكانت الأديان، وفضاء يعطي لأجزائه تمازجا كليا في لوحة كونية لا حد لامتدادها"[٤].

---

١ . صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م، ص ٦.

٢ . المصدر نفسه، ص ٦.

٣ . المصدر نفسه، ص ٩.

٤ . النصير ياسين: الرواية والمكان دراسة المكان الروائي، دار نينوي دمشق، ط ٢، ٢٠١٠م، ص ١١٢.

الصحراء في الشعر الجاهلي

لقد ارتبطت الصحراء بالشعر ارتباطاً وثيقاً منذ زمن بعيد، منذ العصر الجاهلي الذي تميز ببيئة صحراوية، ولهذا كانت الصحراء موضوعا للشعراء بمختلف تضاريسها ومظاهرها فتسابقوا في وصفها والافتخار بها. ولقد تعددت المظاهر المتعلقة بالصحراء فمنها ما هو طبيعي ومنها ما هو إنساني وما هو حيواني، وتتمثل المظاهر الطبيعية في التضاريس المكوّنة للصحراء مثل: الوديان، والجبال، والرمال، والصخور، والمظاهر الحيوانية كالإبل والبقر الوحشي وغير ذاك، أما المظاهر الإنسانية فتتمثل في الأطلال، والخيال، والطيف، وفيما يلي سنعرض نماذج من هذه المظاهر.

١- المشاهد الطبيعية:

اشتملت الصحراء على اتساع رقعتها وانديا‌ح جنباتها تنوعا في المشاهد واختلافا في المناخ، وقد صور لنا الشعر الجاهلي عدد لا حصر له من المشاهد، واحتفظت قوافي الشعراء بذالك التلوين العجيب في البيئة، ولكن لا يتسع لنا المجال هنا لذكرها جميعا، وسنكتفي بذكر بعض الظواهر الطبيعية.

الجبال

تعد الجبال من أهم الأماكن على وجه المعمورة وهذا لشموخها وعلو قممها ونظرا لهذه الأهمية فقد أنشدها الشعراء الجاهليين كثيرا في قصائدهم، وكانوا يتغنون بها أثناء حديثهم عن قطع المفاوز وقدرتهم على اختراقها وعبورها بالنوق. يقول "إمرؤ القيس":

جالت لتصرعني فقلت لها أُقصري إني امرؤ صرعي عليك حرام
وكأنما بدرٌ وسيلٌ كتيفة وكأنما من عاقل وأرمام[١]

فإمرؤ القيس يرى أنه أقوى من أن تهزمه الجبال ويعجز عنه الصمود أمام قممها،

---

١ . ديوان امرؤ القيس: ضبط وتصحيح وتحقيق: مصطفى عبد الشافي، دار الكتاب العالمية ببيروت، ط ٢، ٢٠٠٤م، ص ١٦٣.

فبناقته يستطيع تحدي أية صعوبات تعتري طريقه.

وهذا تأبط شرا يفخر بنفسه ويسابق أصحابه للوصول إلى قمة الجبل، ويصل إليها بعد شروق الشمس، هذه القمة التي تشبه سنان الرمح لدقتها وطولها، فيقول:

وقُلَّةٍ كسنان الرمح بارزة ضحيانة في شهور الصيف محراق

بادرت قنتها صحبي وما كسلوا حتى نميتُ إليها بعد إشراق[1]

كما تستقبل قمم الجبال كذالك الطيور الجارحة التي تتخذ منها مكانا لمراقبة الفريسة حيث يقول زهير بن أبي سلمي:

فزلّ عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب العتر دمّى رأسه النسكُ[2]

كما وجدوا في الجبل مكانا يلوذون إليه مواسم الصيف، يقول تأبط شرا:

هلّا سألتِ عُميراً عن مساءلتي قوماً منازلهم في الصيف ألبانُ[3]

الوديان

للوديان أهمية كبيرة لدى القبائل العربية في الجاهلية، وهذا للخصائص التي تحملها، فهي المكان الذي يرسل المياه عند نزول الأمطار من الجبال إلى الفيافي، وهي مكان يهيم فيه الشعراء بحثا عن أعذب الكلام وأرق الصور، ولقد استعملوها كثيرا في شعرهم وغالبا ما تكون مقترنة بذكر الأحبة، والاشتياق إلى ديارهم، يقول إمرؤ القيس:

ونحسب سلمى لا تزال كعهدنا بوادي الخزامى أو على رس أوعال[4]

فالشاعر يبكي الأطلال بهذا الوادي الذي يحمل عنه ذكريات جميلة وكثيرة.

---

١ . ديوتن تأبط شرا وأشعاره، جمع وتحقيق علي ذو الفقار، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٤م، ص ٢٩.

٢ . ديوان زهير بن أبي سلمي: سلسلة ديوان العرب، دار بيروت، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م، ص ٥٠.

٣ . علي أحمد خطيب: فن الوصف في الشعر الجاهلي، الدار المصرية اللسانية، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٥٦.

٤ . المصدر السابق، ص ٤١.

وهذا زهير بن أبي سلمي يذكر واد الرس، فيقول:

بكرن بكورا واستحرن بسحرة فهن لوادي الرس كاليد للفم[1]

ومن الوديان المعروفة وادي الأحص الذي ذكره أبو ليلى المهلهل:

وادي الأخص لقد سقاك من العدي فيض الدموع بأهله الدعس[2]

فالوادي هو الذي وفر المياه لسكان هذه المنطقة، ومن الوديان أيضا وادي الاخزم التي يذكره ربيعة بن مكدم:

إن كان ينفعك اليقين فاسألي عني والظعينة يوم واد الأخزم[3]

الدرات

الدارة هي الأراضي الواسعة الموجودة بين الجبال، وقد ذكرها الشعراء، فهذا "إمرؤ القيس" يتغنى بالدارة في معلقته. حيث يتذكر اليوم الجميل الذي قضاه بدارة جلجل مع حبيبته "عنيزة"، فيقول:

ألا رُبّ يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جُلجُل[4]

الرياح

لقد اعتنى الشعراء الجاهليين بالرياح فوصفوها في قصائدهم وذكروا مشاهدها وتكمن أهميتها في كون العرب قديما كانت "تضرب أبياتها في القبلة في مطلع الشمس لتدفئهم في الشتاء، وتزول عنهم في الصيف، فما هبّت من الرياح عن يمين البيت في الجنوب، وما هبّت عن شماله فهي الشمال".

وللرياح معاني ودلالات متعددة في الشعر الجاهلي، يقول عدي بن زيد

---

١ . المصدر نفسه، ص ١٣٨.

٢ . ديوان أبو ليلى المهلهل، دار الكتاب ببيروت، ١٩٩٧م، ص ١٣٨.

٣ . أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار الكتب العلمية ببيروت، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ٦٥.

٤ . ديوان امرؤ القيس، ص ١١.

العبادي، وهو يتحدث عن الدّبور:

ثم أضحوا كأنهم ورق جف فألوت به الصّبا والدبور[1]

والدبور هي الريح التي تأتي من الغرب وهي تحمل معها الغبار والجفاف والقحط فهذه الرياح تمقتها العرب، ولكن رياح الجنوب غالبا ما تكون فأل خير وطمأنينة على أهلها. فهي تحمل المطر الغزير، يقول عبيد بن الابرص:

هبّت جنوب بأُولاه ومال به إعجاز مزن يسحّ الماء دلاّح[2]

السحاب والمطر

نظرا لأهمية المطر في الصحراء فقد أولى الشاعر الجاهلي عناية خاصة بالسحب والأمطار ومن أبرز هؤلاء الشعراء الذين اهتموا بوصف المطر والبرق نجد لبيد وامرؤ القيس عادة يدوم فوق المكان ويسقيه بمطر غزير، يقول لبيد بن ربيعة:

أوعازب جادت على أوراقه خلقاء عاملة ونوءُ نجوم[3]

فهو يصف السحب في السماء على أنها خلقاء أي أنها ملساء لا فرجة فيها، ويقول أيضاً:

باتت واسبل واكف من ديمة يروي الخمائل دائما سجامها[4]

وفي هذا البيت ذكر لنا لبيد البقرة الوحشية وقد فقدت ولدها، فصورها وهي تروح وتجيء تحت المطر الغزير. فالمطر هو الحياة بالنسبة للجاهلي، فهو الذي يجعل الأرض في أوج بهائها وصفائها.

٢ – مشاهد الحيوان:

---

١ . ديوان عدي بن زيد: سلسلة ديوان العرب، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٢.

٢ . ديوان عدي بن الابرص، ص ٢٤.

٣ . ديوان لبيد بن ربيعة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٦٩.

٤ . المصدر نفسه، ص ٧١.

تختص الصحراء عادة بأنواع من الحيوانات تتلائم وبيئتها ومناخها، وتضاريسها الفريدة ومنها ما هو أليف ومنها ما هو متوحش، ولذالك فقد اهتم الجاهلي بوصف هذه الحيوانات لكونها الأقرب إلى نفسه ووجدانه، فوصف أعضائها وصفاتها، كذالك حركاته ومن أبرز هذه الحيوانات:

الناقة

أولى العرب الإبل عناية خاصة وتعهدوها بالرعاية الكريمة للمنافع التي عادت بها عليهم فقد استعانوا بها في التنقل والأسفار واتخذوها موارد رزقهم فأكلوا لحمها وشربوا لبنها، ولقيمتها العظيمة فقد كان فضلا على الشعراء أن يصفوها في قصائدهم، فهي رمز الكرم، يقول بشر بن أبي خازم:

سرى ودُّك السديفُ على لحاهم كلونِ الراءِ لبّده الصقيعُ[1]

كما تعد الناقة صديقة الإنسان، والشاعر بصفة خاصة فهو يقصدها كلّما حنّ إلى حبيبته وهذا النابغة الذبياني غب اعتذاريته الشهيرة، يقول:

فعدّ عما ترى إذ ارتجاع له وأنم القتود على عيرانة أجد

فتلك تبلغني النعمانَ أن له فضل على الناس في الأدنى وفي البَعد[2]

فهي وسيلته في السفر، لا يستطيع الترحال دونها.

ومن الشعراء الذين وصفوا الناقة "طرفة بن العبد" الذي اشتمل ديوانه على نعوت كثيرة لها يقول في وصفها:

وإني لأمضي الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

أمون كألواح الإران نضأتها على لاحب كأنه ظهر بُرجُد

١ . ديوان بشر بن أبي خازم: منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط ١، ١٩٧٢م، ص ١٣٤.

٢ . ديوان النابغة الذبياني: سلسلة ديوان العرب، دار بيروت، ١٩٨٤م، ص ٣١.

جماليةٌ وجناء تردي كأنها سفنّجةٌ تبري لأزعر أربد[1]

فناقته لا تستقيم في سيرها من شدة نشاطها وسرعتها، عظامها كألواح التابوت العظيم ومكتنزة باللحم (وجناء).

وهذا عنترة العبسي يصف الناقة عندما تبرك فإنها تصدر صوتا يشبه صوت القصب المكسّر، يقول:

بركت على جنب الرداع كأنما بركت على قصب أجشّ مهضّم[2]

الخيل

تأتي الخيل في المرتبة الثانية بعد الإبل، وهي الأخرى قريبة من نفس الجاهلي فقد سخّرها لخدمته ومجدها في شعره، وارتبط اسمها لدى الشعراء بالعزة والقوة. ولما كانت الخيل ذا سرعة تفوق سرعة الإبل فقد لجؤوا إليها في غزواتهم وغاراتهم كوسيلة لتأمين الرزق والسيطرة على مناطق الرعي، ومن الشعراء الذين استهوتهم الخيل نجد إمرؤ القيس الذي يصف حصانه بالخفة والصلابة والسرعة والقوة، فيقول:

وقد أغتدي والطير في وُكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مِكرّ مِفرّ مُقبل مدبر معا كجلمود صخر حطّه السيل من عل

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلّت الصفواء بالمتنزل[3]

وأحيانا تتجاوز العلاقة بين الجاهلي وحصانه من كونها وسيلة لقضاء حاجاته إلى كونه رفيقا وفيّا وهذا لطول الطريق وكثرة الألفة، كما يشعر الشاعر بحزن فرسه وشكواه كالصورة الرائعة التي ذكرها "عنترة العبسي" عن حصانه الذي ما فتئ يدفع الأعداء بنحره حتى جرح وتسربل بالدم فمال من شدة ما أصابه من الرماح يشكو إلى

---

١ . ديوان طرفة بن العبد، ص ٣١.

٢ . ديوان عنترة، ص ٢٢.

٣ . ديوان امرؤ القيس، ص ١١٥.

فارسه بدمعه وحمحمته، يقول عنترة:

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدّم

فازورّ من وقع القنا بلبانه وشكا إليّ بعبرة وتحمحم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي[1]

٣ – المشاهد الإنسانية:

يهب الإنسان المكان الذي يسكنه أبعادا وعمقا وحضورا مختلفا، ويبعث فيها حياة حقيقية ملؤها رهافة الشعور ورجاحة العقل ويبين هذا عن حضور الخيال الذي يمنح العربي عالما متخيلا موازيا لواقعه يحقق فيه ما عجز عن إدراكه في هذا البراح القاسي وسنحاول أن نقترب من البدوي ونشاهده عن كثب كما هو وكيف يتفاعل مع كل مظاهر الحياة من حوله، ولأن مجال البحث لا يتسع لكل المشاهد الإنسانية فقد آثرنا اختيار بعض المشاهد التي تخص حياة الإنسان في الصحراء كما عبر عنها الشعر الجاهلي.

٤ – الظعائن أو الرحلة القصيرة في الصحراء

تتميز الحياة في الصحراء بكثرة الترحال والتنقل من مكان لآخر لأغراض مختلفة أبرزها البحث عن المياه والمناطق الخصبة، فكان هذا المشهد طاغيا على القبائل البدوية في الجاهلية، ولذالك اهتم الشعراء بقصيدة الظعائن وأولوها عناية فائقة فوظّفوها كثيرا في شعرهم، فكانت ذالك الإحساس البارز في معظم القصائد متمثلا في الحنين والشوق الذي يمزّق القلوب إلى تلك الذكريات الجميلة التي خلّفتها الديار الأولى فنجد عنترة بن شداد العبسي يروي لنا مشهد الإبل التي كانت تحمل المتاع وسط الديار وهي تأكل الحبوب، يقول:

---

١ . ديوان عنترة، ص ٤٣.

ما راعني إلا حُمولة أهلها وسط الديار تسفُّ حبّ الخمخم[1]

ويربط لنا المثقب العبدي الظغائن بعدة أماكن فيقول:

لمن ظعُن تطلع من ضبيب فما خرجت من الوادي لحين

تُبصِرُ هل ترى ظعناً عِجالاً بجنب الصحصان إلى الوجين

مررنا على شراف فذات هجل ونكبنَ الذرائح باليمين[2]

فقد ذكر لنا الشاعر أماكن عدة كالضبيب والوادي الذي لازمته النساء طويلا، ويقول في تشبيهه للظغائن بالسفن:

وهنّ كذالك حين قطعن فلجاً كأنّ حمولهن على سفينٍ

يشبهن السفينة وهن بختٌ عراضاتُ الأباهر والشؤونِ[3]

فالعلاقة القائمة بينما هي الرحلة والانتقال والسرعة، وكل هذا يبرز رغبة الشاعر في الانتقال من حال إلى حال. والبعض الآخر لا يصدق أن الفراق حاصل فعلا، إلا عندما يرون الحبال مشدودة استعدادا للرحيل كحال "علقمة بن العبد"، حيث يقول:

لم أدر بالبين حتى أزمعوا ظعناً كل الجمال قبيل الصبح مزموم[4]

إذن هذه أهم مشاهد الضعن والضعائن فهي جمال مذمومة أو رحال تعد وهوادج مزينة، ونساء نختفي خلف أستارها، وأناس تستبد بهم آلام الفراق عند رحيلها، وتبعث بهم أحلام اللقاء عند قدومها.

الأطلال:

---

١ . ديوان عنترة بن شداد، ص ١٧.

٢ . موسى سامح: الشعر الجاهلي مقاربات نفسية، دار الكندي، عمان، ٢٠٠٢م، ص ٨٧.

٣ . المرجع السابق، ص ٨٩.

٤ . ديوان علقمة بن العبد، ص ٥١.

بعد رحيل الأحبة عن الديار تاركين وراءهم آثارا لا تستطيع حملها الإبل وألماً وحزنا لمن ألفوهم وأحبوهم وعاشوا بالقرب منهم زمنا، وتلك الديار ما هي إلا بقايا خيمة أو وتد، دمن خربة عافها الزمن، لم يبق منها إلا النؤي والأثافي والأواري، أو بعر الآرام في ساحاتها أو فتات العهن مما يتناثر من الهوادج، وذكريات تعجن الحنين والشوق والألم، وأياما مضت مع الأحبة هيهات أن تعود. ويعتبر "إمرؤ القيس" أول من استوقفته ديار الراحلين فغلبه البكاء، حيث يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل　　بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها　　لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعر الأرام في عرصاتها　　وقيعانها كأنه حب فُلفُل[1]

ويقف "النابغة الذبياني" عند دار مية الواقعة بالعلياء فالسند وهما جبلان، وقد أصبحت خاوية وضعيفة بعد فراق أهلها لها، ويقف ليسائلها ولكنها ظلت صامتة، يقول:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند　　أقوت وطال عليها سالف الأبد
وقفتُ فيها أصيلانا أسائلها　　عيّت جواباً وما بالربع من أحد[2]

وقد تصبح تلك الآثار التي يتركها الهجران كالوشم في اليد الممدودة وهذا ما يقوله زهير بن أبي سلمي:

ودارٌ لها بالرقمين كأنها　　مراجيعُ وشم في نواشر مغصم[3]

ولا شك أن نتيجة الجفاف والقحط السائد في الصحراء جعل الكثير من الشعراء يستمطرون السماء فوق هذه الديار حبّا فيها ودعاء لها بالسقيا والخير، كحال "عنترة العبسي" الذي يدعو لها بالمطر الغزير، فيقول:

---

١ . ديوان امرؤ القيس، ص ٣٠.

٢ . ديوان النابغة الذبياني، ص ٦٧.

٣ . ديوان زهير بن أبي سلمي، ص ٩٤.

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي[1]

وكثيرا ما يقف الشعراء عند هذه الديار يذرفون الدموع ويذبون عشقا وصبابة كلما هيّجت الذكرى أشواقه من جديد، فتلك الدموع التي يذرفها تخفف من ألمه وتشفي قلبه الجريح، يقول إمرؤ القيس:

وقوفا بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وإن شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معوّل[2]

إذن هذه بعض المشاهد التي حفظها الشعر عن عالم الصحراء، مشاهد متنوعة وثرية، من مشاهد طبيعية إلى مشاهد تتعلق بالحيوان، إلى مشاهد إنسانية، اخترناها كنماذج للدراسة هنا من كثير من المشاهد التي يرفد بها عالم الصحراء، ولكن لا يتسع المجال لذكرها وإيرادها جميعا، وخاصة وأن البحث في هذا المجال كثير التشعب، ويحتاج إلى بحث مستقل، فلم نتوسع في الحديث عن الحروب مثلا ولا على العادات والتقاليد[3]. ونخلص في الأخير إلى أن الشعر الجاهلي، أصدق ممثل للبيئة الصحراوية تتفتح معالمها في ثناياه، فيغدوا تعبيرا أمينا عنها وعن وقوف البدوي أمامها متأملا أو متأثرا فالشاعر الجاهلي سواء نبغ في الحضر أو في الوبر يشكل حجرا متينا في بناء الأدب الجاهلي المتكامل.

الصحراء في الأدب العربي الحديث

ارتبط الحديث عن الصحراء في حقل الأدب العربي بالشعر والشعراء وحظيت، بأهمية كبيرة خاصة بالنسبة للأدب العربي القديم باعتبارها الموطن الأول للإنسان

---

١ . ديوان عنترة بن شداد، ص ١٥.

٢ . ديوان امرؤ القيس، ص ١١١.

٣ . ياسين النصير: الرواية والمكان، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط ٢، ٢٠١٠م، ص ١١٢.

العربي لكن مع تطور الأدب بمختلف فنونه خاصة في العصر الحديث ظهرت أشكال تعبيرية كتابية أخرى مختلفة تماما، وأهمها الرواية التي ظهرت متأخرة مع بداية القرن العشرين، إذ ظهرت كفن جديد له لغة خاصة به، دخلت في تركيبها عناصر متعددة غير موجودة في أي جنس أدبي آخر، "فالرواية ينسجها التاريخ والجغرافيا والعلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد الأخلاقية والأدبية والنحوية والسياسية والاقتصادية"[١]، أي إنها تتكون من شبكة معتقدة من المعطيات والأحداث في محاولة منها لرصد الواقع حسب تحديد علماء الاجتماع أو بناء عالم بديل يتحقق فيه ما لم يستطعه الواقع أو ما ارتضى السكوت عنه.

ومن المعروف أن الرواية العربية اتخذت في بداية نشأتها وتطورها مسارين متضادين ومتلازمين نشأ بينهما صراع حول البحث عن طرق جديدة في التعبير وبين الصلة مع الماضي والتراث، هذا الصراع أوقع الروائيون العرب في حيرة من أمرهم، هل يتبنون النموذج الغربي الأجنبي في الكتابة وعلى رأسها الرواية الفرنسية الجديدة؟ أم هل عليهم العودة إلى أشكال السرد التراثية وتطعيم الشكل الروائي الحديث ببعض عناصر هذا التراث؟ حيث عمد لفيف من الأدباء في خطوة أولى إلى الالتفات للتراث العربي ونبعه الأصيل يعبون منه بشغف ونهم أي اتباع طائق الحكي القديم، حجتهم في ذالك التمسك بالأصالة والهوية العربية، وبهذا الشكل "تستعيد الكتابة الروائية العربية إرثها القديم وتتعلم من ألف ليلة ومقامات بديع الزمان الهمذاني ومقامات الحريري، وأخبار العرب"[٢]، على نحو ما كتب المويلحي في "حديث عيسى بن هشام" وغيره.

---

١ . شاكر النابلسي: مدار الصحراء في روايات عربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٢١.

٢ . فخري صالح: دراسات في الرواية العربية قبل نجيب محفوظ وبعده، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٠م، ص ٢١.

لتدخل الرواية بذالك مرحلة جديدة من مراحل تطورها وتعيش مرحلة التجريب التي قادتها إلى الاعتماد بصفة كلية على العناصر الحميمة في السرد وخاصة على عنصري الحكاية وعنصر التاريخ، والجدير بالذكر أن سيطرة الجوانب التراثية والتاريخية على الرواية أغفلت الاهتمام بالفضاء الروائي ونظرت إليه بوصفه إطارا وحاضنا ساكنا لابد من وجوده لتحريك بقية العناصر كالشخصيات والزمن والحدث، غير أن الفضاء الروائي لا يمكن أن يظل منعزلا عن باقي مكونات السرد السالفة الذكر وعدم النظر إليه في تفاعله مع هذه المكونات يجعل التأويل قاصرا عن إدراك الأبعاد الدلالية التي ترمي إليها النصوص الروائية.

وهكذا بعد أن ترسّخت الرواية في تقاليد وثقافة المجتمع العربي وأصابت قدرا من النضج الفني عملت على التخلص من قبضة الفن الروائي الغربي، وسعت إلى تحقيق منجز روائي عربي أصيل يحمل سمات الهوية العربية، واستحال النص الروائي العربي إلى بناء من القيم الثقافية والاجتماعية والسياسية والحضارية يشيّد بواسطة اللغة إذ أصبحت تعبّر عن حدة الأزمات المصيرية التي تواجه الإنسان العربي، "فالرواية الجديدة بنية فنية دالة على الاحتجاج العنيف، الرفض لكل ما هو متداول ومألوف"، إذ لم تعد المدينة الرحم الفني الخصب الذي أنجب أشكالا روائية متعددة ورغم ارتباطها بالنشأة الأولى للرواية إلا أنها تحولت إلى هامش في إنتاج النص الجديد، خاصة وأن ارتباط الرواية بالمدينة يحيل على تأثر البناء الروائي بالطبقية الاجتماعية والطبقة البرجوازية بصفة خاصة حسب التصور الجولدماني "حيث استخدم البعض البنوية التكنوية في ربط المدينة بالنص جماليا، وإن كان ذالك المنهج يحول إلى بناء اجتماعي أكثر منه بناء جماليا"[١].

ونشير في هذا الصدد إلى أن بواكير التأليف الروائي العربي لم تعرف أعمالا روائية اتخذت من فضاء الصحراء مسرحا لأحداثها مثلما أشرنا إلى ذالك، ورغم هذا فقد

١ . شكري عزيز ماضي: أنماط الرواية العربية الجديدة، دار الكتب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٦.

تسلك إلى بعض الأعمال بأشكال مختلفة "كان أبرزها استعارتها لتصوير بعض النزعات المصطبغة ببعض ما ترسب في نفوس الكتاب العرب من ولع خاص سكبته الرومانسية الغربية على الطبيعة، وعلى المبالغة في الاحتفاء بالأحاسيس والعواطف واستعارة الطبيعة لمداعبة هذه الانفعالات"، فكانت الصحراء الفضاء الجديد الذي يسعى المبدعون إلى تأكيد الصلات القوية التي تربطهم به، بعدما كانوا ينظرون إليه على أنه فضاء عمي على التشكيل الفني والجمالي "فلم يجرؤ غير الشعراء في محاولة أحكام توثيق لجامها، الذي يتأبى على الترويض على المتأخرين أيضا من كتاب الرواية".

توجهت الرواية العربية المعاصرة في عدد من النماذج فنيا وفكريا إلى الصحراء، وكان طليعة نتائج هذا التوجه أن المكان الروائي الصحراوي خصوصا تجاوز سكونيته السالبة المعهودة في الأنماط الروائية التقليدية، وانضم إلى العناصر الحركية الفاعلة في تكوين بنية الرواية ومنح عالمها الداخلي مزيدا من التنامي والحيوية والجماليات الإضافية الخاصة، وقد سبق توجه الرواية العربية إلى الصحراء توجه واقعي للبشر بفعل الانتقال إلى مواقع النشاط الاقتصادي وتمركز الثروات وهذا خلال النصف الثاني من القرن العشرين حيث كان لاكتشاف البترول والثروات المخبوءة في باطنها أثر كبير في تحسين صورتها والتقليل من الاندفاع إلى معاداتها ورفضها، بوصفها مكانا قابلا للاستثمار الاقتصادي، هذه التحولات الاقتصادية ساهمت في ظهور مجموعة من الروايات اهتمت بالمكان اهتماما محوريا وعكست التغيير الجذري خلخل المكان وبشره، ومكّنت الروائي العربي من الفوز بمكان جديد يزيد من إثراء خياله الفني ويستفيد من الجماليات الواقعية التي يتوفر عليها. ويستثمرها في بناء جماليات الرواية، وبذالك يتخلص من هم التأصيل للرواية العربية وخلق رواية عربية خالصة تستمد نسغها من التراث العربي الزاخر أي "الوصول إلى إنتاج رواية عربية لا يخطئ من يقرأها في اكتشاف هويتها ومزاياها وطريقتها الخاصة في القص"[١].

---

١ . عبد الرحمن منيف: الكاتب والمنفى، دار الفكر الجديد، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٣٦١.

تجليات الصحراء في الرو اية العربية:

١ – مصر

عمد الروائيون الرواد في مصر إلى استثمار فضاء الصحراء في إبداعاتهم الروائية لترجمة بعض أفكارهم ورؤاهم الخاصة، بدأت "الروايات العربية الأولى توجها نحو الصحراء باستحياء في البداية وتلميحات عابرة، كما في رواية الاعتراف لعبد الرحمن شكري التي نشرها في الجريدة ما بين ١٩٠٩ – ١٩١٣م، ثم عاد وجمعها في كتاب أصدره عام ١٩١٦م باسم قصة نفس، ورواية إبراهيم الكاتب ١٩٣١م للمازني، ورواية دعاء الكروان ١٩٣٤م لطه حسين"[١].

٢ – فلسطين

يبرز من فلسطين اسم الروائي "غسان كنفاني" في روايتيه "رجال في الشمس" و "ما تبقى لكم"، ففي روايته الأولى التي قالت عنها "ميرال الطحاوي": لا يمكن اعتبار رجال في الشمس لغسان كنفاني التي تحكي عبور ثلاث فلسطينيين في شاحنة عبر الصحراء وموتهم في الخزان بفعل الشمس رواية صحراوية، لأن القاطرة تجتاز بهم الصحراء"[٢]، حيث ترى أن هذه الرواية تعبّر عن رؤية واقعية لتجربة الاغتراب والعزلة والهجرة والبحث عن العمل في أماكن أخرى بعيدا عن الوطن.

٣ – الشام

إن روايتا "كنفاني" تصوران لنا جزء من صحراء بادية الشام الواسعة وطرقها المؤدية إلى الأردن والعراق والكويت وكذا صحراء النقب الفلسطينية، "كما كانت صحاري الشام منطلقا لمطامح روايات أخرى اعتمدت الصحراء كفضاء دارت فوق أرضها أحداث مختلفة وليست كطريق أو معبر لفضاءات أخرى كروايتي "فارس

---

١ . نبيه القاسم: الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف، دار الهدى للطباعة والنشر، الأردنن ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٤١.

٢ . ميرال الطحاوي: محرمات قبلية، مكتبة الشروق، مصر، ٢٠١١م، ص ٢٩.

زرزور"، "الحفاة"، و"خفي حنين"، ١٩٧١م ورواية "المذنبون" ورواية "حارة البدو"١٩٨٠م "لإبراهيم الخليل"، و"الطاحونة السوداء"، "لبندر عبد الحميد"، و"البحث عن سماوات جديدة" ١٩٨٩م "لياسين عبد اللطيف"[١].

٤ – العراق

أما الصحراء العراقية فقد تناولها الروائي العراقي "جاسم الهاشمي" في روايته "أم إشين"، وهي قرية بائسة تقع جنوب العراق تمتثل للطبيعة امتثالا مباشرا، فإذا أقبل الربيع وازدهرت الصحراء المالحة واخضرت سنابل القمح، وجرى الماء في سيقان النباتات، تضحك الحياة وتزهر قلوب الناس بالحب، أما إذا جاء الشتاء واستحكم الجفاف فإن الطبيعة تقسوا وتتحول إلى ضبع كريه مكشر عن أنيابه، فيكثر الموت من شدة الجوع وتمتلئ دروب القرية بحيث يدرك الناس ضرورة تطهير الأرض منها[٢]، فهذه الرواية كما يظهر من قول الدكتور "محمد حسن عبد الله" تعالج مشاكل الزراعة في المناطق الشبه صحراوية والتي يعد الجفاف أحد أهم مشاكلها.

ويطرح الكاتب الفلسطيني "جبرا إبراهيم جبرا" في روايته "البحث عن وليد مسعود"، فكرة الضياع والاغتراب الروحي، فقد استعار الكاتب الصحراء العراقية وطرقاتها لتأكيد هذه الفكرة غير أن هذه الرواية لم تعكس حقيقة الصحراء العراقية، ولم تعنى بتصويرها كمكان، فالمكان المحوري أو الأمكنة المحورية كانت في بغداد والمنازل والبيوت في المدن الأخرى[٣]. كما أن جزء كبير من الأحداث جرت في الطرقات الصحراوية التي تصل بين المدن وليست في الصحراء في حد ذاتها، رغم أنه ورد ذكر بعض المدن العراقية الصحراوية كالفلوجة والرمادي والرطبة حيث تؤكد حبيبته

---

١ . نبيه القاسم: الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف، ص ٤٣.

٢ . محمد حسن عبد الله: الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٢٩.

٣ . جبرا إبراهيم جبرا: البحث عن وليد مسعود، منشورات وتوزيع مكتبة الشرق الأوسط، بغداد، ط ٣، ١٩٨٥م، ص ٢.

"وصال" أنه "كان يسوق على غير هدى مبتعدا عن المدينة في طريقنا إلى الصحراء أمامنا الفلوجة، فالرمادي، فالصحراء"[١]، وأكدت للجميع أن السلطات الأردنية تعنتت ومنعته من الرحيل ورفضت "السماح بالعبور فأعيد إلى الرطبة ثم أعادوه إلى الصحراء ثم أعيد إلى الرطبة"[٢]. وتناول الصحراء العراقية كذالك الروائي الكبير "عبد الرحمن منيف" من خلال ثلاثيته الشهيرة "مدن الملح".

٥ – الأردن

ويطالعنا من الأردن "مؤنس الرزاز" بروايته "متاهة الأعراب في ناطحات السراب" حيث عالج في هذه الرواية ظاهرة السّراب المنتشرة في الصحراء "وحمّلها دلالات سياسية وتاريخية وحضارية، وعمّم ذالك على جميع الصحاري العربية"[٣]، حيث تزدحم الرواية بالأمكنة السرابية، يقول: "أنظر إلى ذالك السراب تخاله حاضرا وهو غائب، تحسبه مياه وهو وهم يخدع الحواس التي تقوم بدورها بسحر العقل وإغوائه بإصدار أحكام كاذبة لكن أقوام الصحراء يؤمنون بتلك البحيرات التي تخدع الحواس وتربك العقل، فتتبخر الحقائق وتمسي قابلة للطعن"[٤].

٦ – السودان

اقتصرت الرواية السودانية على الوصف المقتضب لبعض مشاهد الصحراء نذكر منها "الجنخانة" "لمحمود عباس" ورواية "جزيرة العوض" "لعمر الحميدي" التي تقدم صورة عن قرية سودانية تقع بمحاذاة نهر النيل، رغم ذالك لم يستطع هذا النهر

---

١ . صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء، ص ٥١.

٢ . المرجع نفسه، ص ٣١٣.

٣ . عبد الرحمن منيف: مجموعة من المؤلفين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٢٨٢.

٤ . مؤنس الرزا: متاهة الأعراب في ناطحات السراب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م، ص ٢٨٦.

أن يخفف من حدة طبيعتها الصحراوية، وقد أسهب الكاتب في وصف المكان المجدب ليبرر لبطله شدة نفوره وعدائيته للمكان وأهله، يقول البطل: "بدأت أضيق بهذه القرية وبمن فيها وقد تحول ضيقي إلى كراهية للناس لأنهم اختاروا لأنفسهم أن يعيشوا هنا من دون سائر بلاد الله الجميلة، وقد كرهت أفراد أسرتي لأنهم ولدوني هنا، حيث فرضوا وجودي في هذا المكان الذي يطوقه العذاب"[١]، فأهم ما يربط هذه الرواية بالصحراء والنهر، وهاتان الروايتان يمكن عدّهما إرهاصات الكتابة الروائية عن الصحراء في السودان. وتعتبر رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" "للطيب صالح" أكثر نضجا وتطورا من حيث الكتابة عن الصحراء.

٧– ليبيا

برز المبدع المتفرد "إبراهيم الكوني" في سماء الرواية الليبية، وغدا الوريث الشرعي للموروث الثقافي العربي للصحراء الكبرى وقبائلها وخاصة قبائل الطوارق الذين اشتغل عليهم، والملاحظ أن الصحراء في جميع كتابات "الكوني" من "التبر" إلى "المجوس" إلى "نزيف الحجر" إلى "ديوان النثر البري" إلى "خريف الدرويش" إلى "أساطير الصحراء"، كلها تستحيل إلى فضاء عبقري موحي، فضاء أسطوري روحي "فأن تكتب للصحراء عن إبراهيم الكوني، معناه أن تحفر بعيدا أو عميقا بحثا عن مجالات أخرى مغايرة للكتابة بحثا في الكتابة عن تلك الواحة الموجودة المفقودة التي ما أنفكّ كتّاب كبار يبحثون عنها دون جدوى، وهو ما يقتضي طريقة جديدة في السرد والكتابة"[٢]. ومن أهم سمات الصحراء في نصوص "الكوني" أن الصحراء كفضاء تأتي كضديد لفضاء المدينة مؤثثا بمجموعة من الأساطير ذات الأبعاد الرمزية والصوفية والفلسفية، وهي ثروة روحية لا يمكن أن تضاهيها أي ثروة مادية.

---

١ . عمر الحميدي: جزيرة العوض، الدار السودانية للنشر، الخرطوم، ط ١، ١٩٩٧م، ص ١٩.

٢ . حسن المودن: الرواية والتحليل النصي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٦٨.

المصادروالمراجع

١. ابن المنظور: لسان العرب، دار بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.
٢. بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط ١، ١٩٩٨م.
٣. صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م.
٤. عبد العزيز طريح شرف: المقدمات في الجغرافيا الطبيعية مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٩٩م.
٥. النصير ياسين: الرواية والمكان دراسة المكان الروائي، دار نينوي دمشق، ط ٢، ٢٠١٠م.
٦. ديوان امرؤ القيس: ضبط وتصحيح وتحقيق: مصطفى عبد الشافي، دار الكتاب العالمية ببيروت، ط ٢، ٢٠٠٤م.
٧. ديوان تأبط شرا وأشعاره، جمع وتحقيق علي ذو الفقار، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٤م.
٨. ديوان زهير بن أبي سلمي: سلسلة ديوان العرب، دار بيروت، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.
٩. علي أحمد خطيب: فن الوصف في الشعر الجاهلي، الدار المصرية اللسانية، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٤م.
١٠. شاكر النابلسي: مدار الصحراء في روايات عربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩٠م.
١١. فخري صالح: دراسات في الرواية العربية قبل نجيب محفوظ وبعده، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٠م.
١٢. شكري عزيز ماضي: أنماط الرواية العربية الجديدة، دار الكتب، القاهرة، ١٩٩٦م.
١٣. عبد الرحمن منيف: الكاتب والمنفى، دار الفكر الجديد، بيروت، ١٩٩٢م.
١٤. نبيه القاسم: الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف، دار الهدى للطباعة والنشر، الأردن ط ١، ٢٠٠٥م.

١٥. محمد حسن عبد الله: الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة، بيروت، ١٩٩٩م.
١٦. جبرا إبراهيم جبرا: البحث عن وليد مسعود، منشورات وتوزيع مكتبة الشرق الأوسط، بغداد، ١٩٨٥م.
١٧. مؤنس الرزا: متاهة الأعراب في ناطحات السراب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.
١٨. عمر الحميدي: جزيرة العوض، الدار السودانية للنشر، الخرطوم، ١٩٩٧م.
١٩. حسن المودن: الرواية والتحليل النصي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٠م.